Atatürk Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, Sayı:34, Erzurum 2010

الحياة العلمية والثقافية فى مصر العثمانية

*عيد فتحى عبد اللطيف عبد العزيز

الملخص

يتناول هذا البحث الحياة العلمية المصرية فى العصر العثمانى وشخصيتها الثقافية والتاريخية التى يشوبها الكثير من الغموض فى هذه الفترة ، مستعينًا بالقراءة التى تدل عليها القراءات المتصفحة للمصادر الأدبية والتاريخية التى تحدثت عن تلك الفترة وكُتَّابها وعلمائها وسائر أعلامها .

ÖZET

Osmanlı Döneminde Mısır'da Kültürel Yaşam

Bu çalışmada Osmanlı dönemi Mısır'daki ilmi hayat ile tarihi, kültürel yapı ele alınacaktır.

Bu konuda yazılmış olan edebî, târihî eserler ve ilgili dönemdeki âlimler bilimsel bir şekilde ele alınarak konu işlenecektir.

Anahtar Kelimeler: *Osmanlı, Mısır, Kültürel Yaşam, Arap Edebiyatı*

ABSTRACT

The Cultural Life in Egypt in Ottoman Period

This research dealt with the scientific life, historical and cultural structure in Egypt on the Ottoman period.

The subject will be evaluated under the light of literary, historical work of arts, and the related scholars of the era.

Key Words*: Ottoman, Egypt, cultural Life, Arabic literary*

* دكتور- أستاذ زائر بقسم اللغة العربية – كلية الإلهيات – جامعة أتاتورك – تركيا .

الموضوع :

أحمد الله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد .

وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع عدة أمور ، منها : كثرة ما وجدته من تراجم لرجال ذلك العصر وأعيانه، واغفال كثير من الباحثين المعاصرين دراسة هذه الفترة على الرغم من احتفال المؤرخين بذوى الإسهامات الكبيرة فى الثقافة الأدبية العربية ، و لم يكن ذلك العصر بكل تأكيد يمثل فجوة ثقافية فارغة خالية ، ولو كان كذلك لانقطعت الصلة بيننا ـــ نحن المعاصرين ـــ وبين الأدب العربى .

والملحوظ أيضًا أن رفوف المكتبات فى العالمين العربى والغربى تموج بكتب كثيرة لكتاب تلك الفترة التى لا تزال مخطوطة حتى الآن .

كما كانت الفكرة التى أذاعها المستشرقون عن الدولة العثمانية ، وأنها كانت دولة ضعيفة سياسيًّا واقتصاديًّا وأدبيًّا وعلميًّا ، أحد الدوافع التى جعلتنى أتجه إلى قراءة بعض هذه الكتب التى ألفت فى فترة الحكم العثمانى فى مصر وبلاد الشام ، وبخاصة كتب الأدب (شعره ونثره) وكتب التراجم ، وكتب التاريخ ، وغيرها .

وكانت الحضارة الإسلامية قد حفلت بعدد من المؤسسات التى غلب عليها طابع الصفة الدينية كالمساجد والزوايا ، ومنها ما غلب عليها الطابع الاجتماعى كالحمامات والأسبلة والبيمارستانات(مستشفيات) ، ومنها ما غلب عليه التعليم كالمدارس والمكاتب ، ومنها ما كان له طابع اقتصادى كالوكالات والخانات والفنادق والأسواق ([1]) ، وقد تجمع المؤسسة الواحدة بين لونين من ألوان النشاط كالمساجد الكبيرة أو الجوامع العظيمة التى كان لها صفة تربوية دينية ، وصفة علمية تعليمية .

ونتيجة لانتشار المذاهب الفقهية المختلفة ، وظهور المذهب الشيعى منافسًا للمذهب السنى ظهرت المدارس ، وكانت أولى المدارس فى الإسلام هى المدرسة "البيهقية" فى نيسابور ؛ لتقوية المذهب السنى فى مواجهة الامتداد الشيعى الذى بدأ باجتياح الفاطميين لمصر ، ثم بلاد الشام ، وتحكم البويهيين الشيعة فى الخلافة العباسية ، وتلبية لرغبة السلاطين فى إحكام السيطرة

([1]) انظر :العلم بين المسجد والمدرسة للدكتور سعيد عاشور : ص 15.

على رجال الدين ، وإلى إعداد كوادر موالية للخليفة فى كل مجالات الحياة كالقضاة والوزراء وكبار موظفى الدولة ([2]) .

واشتهر بمصر كثير من المدارس التى لاقت اهتـــمام السلاطين والأمراء والوزراء ([3]) ، الذين اهتموا بتزويدها بالمكتبات الزاخرة بصنوف الكتب ، وأوقفوا عليها الأوقاف ([4]) .

أما فى العصر العثمانى فقد اكتفت الدولة بما قام به الوزراء والوجهاء والأغنياء والولاة ، ذلك لأنها ورثت عن دولة المماليك أكثر من ثلاثة آلاف مدرسة عالية ومتوسطة ، وكان لكل جامع سلطانى مدرسته ([5]) ، أما المناطق التى كان بها قلة واضحة فى عدد المساجد والمدارس كالمدينة ومكة وبعض مدن الشام، فقد لاقت اهتمام السلاطين العثمانيين الذين قاموا ببناء كثير من المساجد والمدارس ، وأوقفوا لها أوقافًا فى عدة مدن من مصر([6]).

وكانت الدراسة تبدأ من الكتاتيب التى كانت منتشرة فى كل قرى مصر ومدنها ، حتى وصل عددها أكثر من ستة آلاف كتَّاب ومدرسة ، وكان لهذه الكتاتيب دورها الكبير فى تلقين التلاميذ مبادىء العلوم كالقراءة والكتابة ، والحساب ، وحفظ القرآن الكريم ، والحديث

([2]) انظر المرجع السابق : ص 20 ، وانظر : المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى لأيمن فؤاد سيد : ص 94

([3]) ففى مصر الفاطمية اشتهرت : المدرسة الحافظية ، ومدرسة العادل بن السلار ، وفى العصر الأيوبى : المدرسة الناصرية للمذهب الشافعى ، والمدرسة القمحية للمذهب المالكى ، والمدرسة الصالحية للمذهب الشافعى ، والمدرسة السيوفية ، والمدرسة الفاضلية للشافعية والمالكية ، وفى العصر المملوكى : مدرسة السلطان قيتباى ، ومدرسة الغورى . انظر : المدارس فى مصر لأيمن فؤاد سيد : ص 152 ــ 303.

([4]) وبذلك انتشر التعليم فى عهدهم فى كثير من مدن مصر، كالقاهرة والإسكندرية ودمياط وقوص وأسيوط وأبو تيج وأخميم وسوهاج وغيرها، وقد أحصى ابن دقماق المتوفى سنة 808 هـــ فى كتابه «الانتصار» هذه المدارس والجوامع والزوايا ، وذكر المقريزى المتوفى سنة 845 هـــ فى الخطط تواريخ كثير من هذه المدارس وأخبارها، وما كان يدرس بها من العلوم ، والتى كان يغلب عليها طابع العلوم الدينية ، كالتفسير والحديث والفقه على المذهب الأربعة والقراءات والطب والميقات.

([5]) انظر : تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا : 2 / 839.

([6]) انظر : المرجع السابق : 2 / 487.

([7]) . ثم يتحول الطلاب إلى التعليم الابتدائى فى مدارس المساجد الكبرى التى أقيمت بالمدن ، وتسير الدراسة فيها على نمط الدراسة فى الأزهر ، على أيدى مدرسين تخرجوا فى الأزهر ([8]) .

وكان التعليم الابتدائى قد انتشر فى مصر العثمانية منذ القرن العاشر الهجرى ، وكان إجباريًّا ([9]).

وتبدأ مرحلة التعليم المتوسط عقب الانتهاء من التعليم الابتدائى ، وكانت تلك المدارس توجد فى كل مدينة ، ويجرى الانتقال بين صفوفها من خلال امتحان يعد للطلاب ، كما يمكن للطلاب أن يجتاز أكثر من صف خلال سنة دراسية واحدة ، وبعدها تبدأ مرحلة التعليم العالى التى لا تكون إلاَّ فى المدن الكبيرة كالقاهرة واستانبول وأدرنة وبورصة وبغداد والشام وحلب ([10]).

وكذلك كان للمساجد الكبرى دورها الكبير فى التعليم ، منذ دخول الإسلام إلى مصر وانتشاره بين ربوعها ([11]) ، وكان الجامع الأزهر الذى بناه جوهر الصقلي بأمر من المعز لدين الله الفاطمى سنة (361 هـ = 972م) مركزًا للدعوة الشيعية الإسماعيلية فى مواجهة جامع عمرو بن العاص الذى كان مركزًا لدراسات أهل السنة ([12]).

([7]) انظر : تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا : 2 / 489 ، وانظر : حقيقة الغرب للدكتور مصطفى عبد الغنى : ص 43 ، 110 ، 111 ، المؤرخون والعلماء فى مصر لعبد الله عزباوى : 16-22.

([8]) ومن أشهر هذه المدارس وأكثرها نشاطًا تلك التى قامت فى طنطا ودسوق والإسكندرية ودمياط ، ورشيد والمنصورة والمحلة الكبرى ، ومن أبرزها فى الوجه القبلى مدارس قوص وقنا وطهطا . انظر : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر للدكتور عبد العزيز الشناوى : 2 / 684.

([9]) وذلك مع أنه كان مقتصرًا على تعليم الناشئة مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن والنقد والبلاغة ، والرياضيات والخط والتاريخ والجغرافيا ، وفى بعضها تدرس الموسيقى والخط .انظر : تاريخ الدولة العثمانية ليلمز أوزتونا : 2 / 488 ، وانظر: تفاعل الفكر الإسلامى بالفكر الغربى لعبد الحق عدنان : ص 167.

([10]) كما كان هناك نوع من التعليم فى بعض القصور والسرايا والتكايا الكبيرة بمستوى التعليم العالى .انظر فى ذلك : تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا : 2 / 485 ، 488.

([11]) ومن هذه المساجد : جامع عمرو بن العاص، ومسجد ابن طولون بالقطائع ، وغيرها ، وهى التى درست فيها علوم الدين واللغة والأدب ، واشتهر فيها العديد من العلماء والأئمة والأدباء والشعراء . انظر : مصر والشام لشوقى ضيف : ص 15 ، والأزهر فى ألف عام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى: 1 / 15-16.

([12]) . انظر : مصر والشام لشوقى ضيف : ص 77.

وكانت الدراسة فى الأزهر مقتصرة على المذهب الشيعى الفاطمى فى الفقه ، وتعاليم الشيعة فى الدين والفلسفة والتوحيد ، وجلب المعز لذلك العديد من العلماء ، وبنى لهم الأروقة ، وأجزل لهم العطاء ، وبنى للطلاب الأروقة ، ثم قام الوزراء بإقامة دور الكتب والمكتبات([13]).

وبدأ الأزهر فى التحول عن المذهب الشيعى إلى المذهب السنى بداية من عهد صلاح الدين ، الذى جعل الدراسة فيه للمذاهب الأربعة ، ورتب لذلك العلماء والفقهاء ، وأجزل لهم العطاء ([14]) . ولكنه أصبح منذ العصر المملوكى دارًا للصوفية بجوار كونه مدرسة لطلاب العلم ، ومسجدًا للعبادة ([15]).

أما فى العصر العثمانى فقد قدر الله تعالى للأزهر الشريف أن يكون أكبر جامعة إسلامية فى العالم الإسلامى ، حيث يفد إليه الطلاب من جميع أرجاء العالم، كما ازدادت مكانته لدى السلاطين العثمانيين عما كان عليه لدى سلاطين الأيوبيين والمماليك ، إذ رأوا الأزهر مركزًا قويًّا للمذهب السنى فى مواجهة المذهب الشيعى ، مما أتاح لعلماء الأزهر حرية فى اختيار العلماء والدراسات والبحوث ، دون الخضوع لرقابة الحكومة أو توجيهها أو إشرافها ، وكذلك ظلت الـــدراسات والمـــراجع والكتب كلها باللغة العربية، استمرارًا وتدعيمًا للمركز الانفرادى الذى تشغله لغة القرآن الكريم فى الحياة العلمية فى مصر([16]).

وكان لهذه الحرية التى منحها آل عثمان لعلماء الأزهر أثرها الواضح فى أن لعب الأزهر الشريف دوره : العلمى والثقافى والسياسى والاجتماعى خير قيام ؛ حيث قام الأزهر بنشر الثقافة العربية والإسلامية من خلال علوم التفسير والقرآن والحديث الشريف والفقه والتوحيد ، كما كان ملاذًا ومعقلاً للغة العربية وآدابها وما يتصل بها من بلاغة ونحو وصرف ، وحافظ على الهوية الإسلامية العربية بها ([17]) . ويرجع انفراد الأزهر بتوجيه الثقافة العربية

([13]) . انظر : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر للدكتور عبد العزيز الشناوى : 2 / 676.

([14]) انظر : الأزهر فى ألف عام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى : 1 / 87 ــ 88.

([15]) انظر : الأزهر فى ألف عام لخفاجى : 1 / 103 ــ 104 ، ومصر والشام لشوقى ضيف : ص 551.

([16]) انظر : الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية لسيده إسماعيل كاشف : ص 62 ، وانظر دور الأزهر فى الحياة العلمية فى مصر فى كتاب " المؤرخون والعلماء فى مصر" لعبد الله عزباوى : 22 ــ 66.

([17]) وكذلك حافظ على الثقافة العربية والإسلامية فى بلدان العالم الإسلامى المختلفة ، وكذلك حافظ على كثير من العلوم كعلم الهيئة ، أو الفلك ، والرياضيات ، والأحياء ، أو المواليد ، والفيزياء ، والطب . انظر فى

الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى إلى عدم وجود معاهد علمية تنافسه أو تدانيه فى شهرته ، أو فى رسوخ قدمه ([18]).

وكان منصب شيخ الأزهر الذى وضعه سلاطين آل عثمان عاملاً من عوامل الحفاظ على الطابع العربى فى مصر ؛ إذ منع العثمانيون تعيين العلماء العثمانيين فى هذا المنصب ، طوال الحكم العثمانى ، منذ إنشائه فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، وتركوا هذا المنصب للعلماء المصريين فقط ، كما عملوا على ألا يتقلده علماء من المذهب الحنفى ، بالرغم من أنه كان المذهب الرسمى للدولة ، وكان شيخ الأزهر بمثابة شيخ الإسلام فى دار الخلافة ، حيث كان هو المسئول عن شئون الأزهر ورعاية أهله ، وله النظر فى قضاياهم ، وهو الممثل الرسمى لهم لدى الحكومة ، وهو المسئول عن الشعائر الدينية ([19]).

وكان للأزهر الشريف دور كبير فى بروز مصر فى العصر العثمانى ، بوصفها حاضرة الفكر الإسلامى ([20])؛ إذ تخرج فيه كثير من العلماء والأدباء والشعراء والمفكرين الذين يرجع نسبهم إلى العديد من الإمارات العربية والإسلامية المختلفة . وبالرغم من ذلك فقد اتهمت مصر العثمانية بنفور الهمم عن التأليف ، وانصراف المؤرخين عن تناول الشئون العامة إلى تملق الحكام والولاة ، وتدوين سير السلاطين والأمراء ، واستكانة العلماء وابتعادهم عن الاجتهاد ،

ذلك : الأزهر فى ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجى : 1 / 116 ، 127 ــ 128، الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية لسيده إسماعيل كاشف : ص 66 ، مصر والشام لشوقى ضيف : ص 560، دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر لعبد العزيز الشناوى : 2 / 682.

([18]) وذلك لأن المدارس والمعاهد التى أقيمت فى القاهرة فى زمن الأيوبيين والمماليك ، أصابها الاضطراب ، وفقدت مواردها المالية ، وفقدت اهتمام سلاطين آل عثمان ، الذين لم يهتموا بأى معهد علمى قدر اهتمامهم بالأزهر ، لحرصهم على اجتذاب قلوب المصريين نحوهم بإظهار الاحترام العميق للأزهر ورجاله . انظر : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر للدكتور عبد العزيز الشناوى : 2 / 676.

([19]) كان الشيخ محمد عبد الله الخرشى المالكى المتوفى سنة (1101 هـــ) أول من تولى هذا المنصب فى مصر . انظر : المرجع السابق : 2 / 678 ــ 679 ، وانظر: الأزهر فى ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجى : 1 / 129.

([20]) أما بلاد الشام فقد تحولت إلى كيان محلى يفتقر إلى قوة التطور الذاتية ، أما مدن الساحل الخاضعة للإدارة العثمانية كطرابلس وإمارات لبنان فلم تستطع أن تنهض إلى ازدهار جديد . وبالرغم من ذلك فقد ظلت هناك جذوة متقدة فى بعض المدارس والجوامع الكبيرة ، وبخاصة فى الجامع الأموى بدمشق . انظر : تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 7 ــ 8 ، مصر والشام لشوقى ضيف : ص 553.

وجهلهم طرق التفكير الحديثة ، وطرق البحث العلمى الحديث ، وظهور الشروح والحواشى ، وغياب العلوم العقلية والرياضية والفلكية ([21]).

أما الحديث عن الحالة الأدبية فى مصر العثمانية فتبدأ بالحديث عن التدوين الأدبى الذى ارتبط منذ القدم بالتدوين التاريخى ، وما صاحبه من كتب تراجم الرجال والطبقات والسير الشخصية ، ولم تكن كتب التراجم بمعزل عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للبلاد ، وعمل بالكتابة طوائف مختلفة من أفراد المجتمع ، منهم كتاب الدواوين والحفاظ والفقهاء والقضاة ورجال الحكم والسياسة ، وكان لكل طبقة من هذه الطبقات أثرها فى تنوع المادة العلمية والتاريخية والدينية والأدبية ، بتنوع ثقافتهم ووظائفهم واتجاهاتهم وميولهم ([22]) .

ويبدأ عمل كتاب الدواوين وأهميتهم فى مصر منذ أن عرفت مصر ديوان الإنشاء فى عهد الدولة الطولونية ، على غرار ديوان الإنشاء ببغداد ، وكانت مهمة هذا الديوان إنشاء المكاتبات التى تصدر من السلطان ، وما يرد إليه من رسائل ، وازدادت أهمية هذا الديوان فى عهد الأيوبيين ، لتقديرهم لمن يقوم بعمل هذا الديوان ، وتدقيقهم فى اختيار من يقوم عليه ، وكذلك ازداد عمل هذا الديوان فى عهد المماليك ، وأحسن تنظيمه ، ولكنه اختفى على عهد الدولة العثمانية ([23]) ؛ نتيجة لانتقال السلطة السياسية الحاكمة فى البلاد إلى الأناضول وبالتالى لم يعد هناك وجود لهذا النوع من الكتاب.

واشتغل بالتأليف على مر العصور الإسلامية جمهرة كبيرة من رجال الدين ــ رجال الحديث والفقه والقضاء ــ واللغة والأدب والنحو ، وأنتجوا نتاجًا كبيرًا من المؤلفات فى كل المجالات العلمية والدينية والتاريخية والأدبية ، ودار معظم علم التدوين التاريخى حول تراجم الرجال سواء من رجال الحديث والأدب والشعراء واللغويين ورجال السياسة والحرب ،

([21]) انظر: الأزهر فى ألف عام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى : 1 / 117 ــ 118 .

([22]) قسم بعض الباحثين الكتاب إلى ثلاث مجموعات : كتاب الدواوين ، ورجال الدين ، وأولاد الجند التاريخ العربى والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى : 3 / 98 ، وجعلهم آخر على قسمين : رجال الدولة، وعلماء الدين الرؤية الحضارية للتاريخ ، قاسم عبده قاسم : 118، كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر دراسة فى التحول الوطنى لجاك كرابس جونبور ، ص 53 ــ 54.

([23]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : 401 ــ 402.

وظلت ظاهرة التراجم طوال العصور الإسلامية وحتى نهاية العصر العثمانى ، واشتهر خلال هذه القرون كثير من المؤرخين والأدباء الذين كان لهم كثير من المؤلفات.

وممن عرف بعلم الترجمة : الخطيب البغدادى المتوفى سنة (463 هـ = 1071م) ، فى كتابه تاريخ بغداد ، وابن عساكر المتوفى سنة (571 هـ = 1175م) فى كتابه تاريخ دمشق ، وياقوت الحموى المتوفى سنة (626 هـ = 1229م) فى معجم الأدباء ، ابن ميسر " محمد بن على" المتوفى سنة 677 هـ = 1278م) صاحب أخبار مصر ، وكتاب قضاة مصر ، وابن الحلبى "أحمد بن محمد" صاحب صلة التكملة ، وهو ذيل على كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذرى، وصاحب كتاب مشتبه الأسماء والنسب لابن نقطة ، وشرف الدين الدمياطى " عبد المؤمن بن خلف" المتوفى سنة (705 هـ = 1306م) ، صاحب كتاب العقد الثمين فى من اسمه عبد المؤمن، والقطب الحلبى " عبد الكريم بن عبد النور الحلبى " المتوفى سنة (735 هـ = 1334م) صاحب كتاب تاريخ مصر ، وقد وضعه على غرار كتاب تاريخ بغداد للبغدادى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ومعجم الشيوخ وقد ترجم فيه لما يزيد عن ألف شيخ من شيوخه ، ومنهم : الأدفوى " جعفر بن ثعلب " المتوفى سنة (748 هـ = 1346م) ، صاحب كتاب "الجامع السعيد أسماء نجباء الصعيد" ، وكتاب "البدر المسافر وتحفة المسافر" ، وهو كتاب تراجم لوفيات القرن السابع الهجرى . وابن مكتوم " أحمد بن عبد القادر" ، ولد سنة (682 هـ = 1283م) ، صاحب كتاب "الجمعُ المثناه فى أخبار اللغويين والنحاة" ، وكتاب "ما أغفله الذهبى من القراء" ، و"ابن خلكان" المتوفى سنة (691 هـ = 1292م) ، صاحب "وفيات الأعيان" ، و"ابن أيبك الصفدى" المتوفى سنة (764 هـ = 1363م) ، صاحب "الوافى بالوفيات" ، و"أعيان العصر" ، و"تاج الدين السبكى" المتوفى سنة (771 هـ = 1370م) وله كتاب "الشافعية الكبرى" ، وكتاب "الشافعية الوسطى" ، وكتاب "الشافعية الصغرى" ، وكتاب "معجم الشيوخ" ، و"ابن تغرى بردى" المتوفى سنة (847 هـ = 1443م) ، صاحب كتاب "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" ، وكتاب "المنهل الصافى و"المستوفى بعد الوافى" ، و"ابن حجر العسقلانى" المتوفى سنة (852 هـ = 1448م) ، صاحب "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة".

و لم تتوقف حركة الثقافة فى مصر والشام خلال فترة الحكم العثمانى ، بل ازدهرت وترعرعت ؛ نتيجة لظهور كثير من الشخصيات العلمية والدينية والأدبية ، وازدياد عدد

الشعراء والأدباء ، واشتهر فى تلك المرحلة كثير من العلماء الذين جمعوا بين العلوم الدينية والأدبية والتاريخية فى مؤلفاتهم ، وكان لمعظمهم دواوين شعرية كبيرة ، ولبعضهم كثير من القصائد الشعرية والمقطوعات الأدبية والرسائل الإخوانية والمقامات الأدبية ، وظهر اهتمام الكتاب بكتب التراجم التى اهتمت بتراجم الأعيان فى العالم الإسلامى ، وإذا كانت كتب التراجم قديمًا تقوم على الترجمة للرجال من الجنس العربى الذين لهم إسهامهم فى الحياة الإسلامية ، فقد بدأ ابن خلكان المتوفى سنة (681 هـ = 1282م) ، فى كتابه " وفيات الأعيان " مرحلة جديدة من من مراحل الترجمة فى الأدب العربى ، إذ جعل كتابه على شكل معجم شامل فى تراجم الرجال منذ ظهور الإسلام وحتى وقته ، وقام ابن أيبك الصفدى المتوفى سنة (674 هـ = 1363م) ، بمثل هذا الأمر فى كتابه الجليل " الوافى بالوفيات ".

ثم بدأت مرحلة جديدة تظهر فى كتب التراجم عندما قام العلماء باتخاذ أسلوب جديد فى الترجمة، حيث اقتصروا على الترجمة فى فترات بعينها، أو فى فترات محدودة من الزمن قريبة منهم أو فى عصر بعينه يعيشون فيه ([24])، وعلى هذه الطريقة سار علماء العصر العثمانى ، إلا أنهم لم يقتصروا على أقاليم بعينها كما فعل كثير من المؤرخين ، حيث تتجلى النظرة الشمولية الواسعة والموحدة لتاريخ العالم الإسلامى ، والتى تظهر من ترجمة هؤلاء العلماء للأعيان والأدباء والشعراء فى مختلف بلاد العالم الإسلامى فى قرن بعينه من الزمان ([25]).

ومن أشهرهم : بدر الدين الغزى "محمد بن محمد" المتوفى سنة (884 هـ = 1577م)، والمحبى " محمد أمين بن فضل الله " ، المتوفى سنة(1111 هـ = 1699م) ، صاحب كتاب "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر"([26]) ، وكتاب "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة"([27]).

([24])كما فعل ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة 852 هـ = 1449 م ، فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، والسخاوى المتوفى سنة 902هـ = 1497م ، فى كتابه الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع .

([25]) من أعلام الفكر العربى للدكتورة ليلى الصباغ : ص 147 ــ 148.

([26]) وقد طبع بالمطبعة الوهابية بالقاهرة ، سنة 1965م .

([27]) وقد طبع بتحقيق عبد الفتاح الحلو ، بمطبعة دار إحياء الكتب العربية ، سنة (1387 هـ = 1967م) .

ومنهم : "الحسن البوريني" المتوفى سنة (1024 هـ) ، صاحب "تراجم الأعيان من أبناء الزمان" ([28]).

ومنهم : "شهاب الدين الخفاجي" المتوفى سنة(1069هـ) ، صاحب كتابي "ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا" ([29]) ، و"خبايا الزوايا".

ومنهم : "يوسف البديعي الدمشقي" المتوفى سنة (1073 هـ = 1662م) ، صاحب كتاب "هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام" ، و"الصبح المنبي عن حيثية المتنبي".

والمرادي " محمد خليل الدمشقي " ، صاحب كتاب "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" ([30]).

وابن البيطار " عبد الرازق البيطار المتوفى سنة (1335هـ) ، صاحب كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" ([31]).

وكان الأدب العربي في العصر العثماني امتدادًا واضحًا لازدهار التدوين التاريخي والأدبي والموسوعي في مصر وبلاد الشام في عهد الدولة المملوكية ، ومن قبلها في العصرين الفاطمي والأيوبي ، إلا أنه كان في العصر المملوكي أكثر غزارة وتنوعًا من ذي قبل ([32]).

ومن المعروف أن تدوين الأدب نشأ وترعرع في أحضان التدوين التاريخي ، الذي نشأ هو الآخر في أحضان علم الحديث النبوي ، وكان التدوين التاريخي دائمًا متأثرًا بطبيعة العصر وواقعه ، وما تشهده البلاد من حروب وصراعات سياسية داخلية حول السلطة ، أو صراعات خارجية مع القوى الكبرى حول مد النفوذ والسيادة على البلاد ، ولما كانت مصر مسرحًا لكثير من الأحداث والحروب والفتن ؛ فقد ازدهر بها فن التدوين التاريخي ، لتدوين هذه الأحداث ، وما صاحبها من أدب شعري ونثري ، تميز بوفرة المادة وغزارة الإنتاج ،

([28])تم طبع الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، في جزأين ، بمجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول سنة 1959م ، والجزء الثاني سنة 1963 م .

([29]) تم طبع الكتاب بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، بمطبعة عيسى البابي الحلبي ، سنة 1386 هـ = 1967م .

([30]) وتم طبع الأجزاء الثلاثة الأول بالآستانة سنة 1291 هـ ، وطبع الجزء الرابع ببولاق سنة 1301 هـ .

([31])تم طبع الكتاب بتحقيق محمد بهجة البيطار في ثلاثة أجزاء ، وطبع بمجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1963م.

([32]) عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم : 3 / 92 ، مصر والشام لشوقي ضيف : ص 154 .

نتيجة للخصوبة الفكرية والثقافية والرخاء الاقتصادى الذى كانت تعيش فيه البلاد فى بعض فترات حياتها.

وبالرغم مما قيل عن تراجع دور مصر السياسى الرئيسى فى أحداث العالم الإسلامى فى عهد الدولة العثمانية لعدة قرون ، إلا أنها ظلت قبلة المسلمين والعرب وغير العرب ، كما كانت من ذى قبل ؛ لعظم دورها العلمى والثقافى والأدبى ، وقد ساعدها فى الحفاظ على هذه المكانة دور الأزهر الشريف الرئيس والمركزى فى قيادة الحركة العلمية والثقافية والدينية والأدبية فى العالمين العربى والإسلامى ، وكان لاحترام سلاطين العثمانيين للأزهر ولعلمائه دوره الكبير فى تثبيت هذه المكانة وارتفاعها فى عيون العرب والمسلمين.

وأدى استقرار الحياة السياسية والاقتصادية فى مصر والشام فى ظل حكم العثمانيين ، وارتفاع مكانة مصر ، واحترامهم للأزهر من توجه آلاف الطلاب من كل مكان إلى مصر التى أصبحت القبلة الثقافية والعلمية ومركزها بالقاهرة ـــ وخاصة داخل الأزهر ـــ حيث كثر العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخون والفقهاء والقضاة وغير ذلك ، وفتحت مصر لهم أبواب مدارسها التى تنافس السلاطين والأغنياء فى حبس الأوقاف عليها ، وتعيين من يقوم على رعايتها والعمل بها من العلماء والفقهاء ، حتى أصبح الأثرياء منهم ينفقون على طلاب هذه المدارس ويقومون بتوفير ما يحتاجونه من أدوات كتابية وطعام.

وكان من الطبيعى أن تشمل هذه النهضة العلمية والثقافية الكبيرة التدوين الأدبى ، والتدوين التاريخى ، الذى كان علمًا راسخًا يؤدى وظيفته العلمية والحضارية ، ووجد فى هذه الحياة الفكرية الخصبة مجالاً واسعًا لتسجيل الأحداث التاريخية التى تمر بها الأمة الإسلامية كلها ، أو تسجيل الأحداث التى تمر بها منطقة معينة من المناطق ، أو ما يدور حول شخصية بعينها ، مما زاد من أعداد الكتب التى تحدثت عن تراجم الشخصيات من السلاطين أو الأمراء أو الباشوات أو الفقهاء والقضاة والمحدثين والعلماء والشعراء.

ولعل فى ذكرنا لبعض أشهر كتاب العصر العثمانى ردًّا على من اتهم مصر العثمانية بنفور الهمم عن التأليف ، وانصراف المؤرخين عن تناول الشئون العامة إلى تملق الولاة والحكام ، وتدوين سير الملوك والسلاطين والأمراء ، واستكانة العلماء وابتعادهم عن الاجتهاد فى الفقه ، وجهلهم طرق التفكير وطرق البحث العلمى.

أما فيما يتعلق باتهام مصر العثمانية بغياب العلوم العقلية والرياضية والفلكية ([33])، فإن هذا ادعاء باطل ، تفنده نظرة سريعة فى بعض كتب ذلك العصر، ومنها : كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العشرة ، وكتاب لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر، وكلاهما لنجم الدين الغزى المتوفى سنة (1061هـ = 1651م) ، وكتاب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى ، وكتاب " سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمرادى المتوفى سنة (1206هـ = 1792م) ([34]) فمن يقرأ هذه الكتب سيجد فيها كثيرًا من العلماء ممن اعتنوا بعلوم مختلفة كعلم الرياضيات والفلك ، والهندسة ، وعلم المساحة ، والطب ، والفلسفة ، والأدب ، والشعر ، والنحو ، والعلوم الإسلامية التى تدور حول القرآن الكريم ، فضلاً عن علم المواريث أو علم الفرائض ([35]).

وسوف نوجز الحديث عن بعض مجالات العلم والمعرفة فى مصر العثمانية ، وسوف نذكر بعض المؤلفين وكتبهم فى هذه المجالات ، كما يلى:

ففى مجال الطب ظهر علماء كثيرون ، منهم : " أحمد بن الحاج سنان شربتى " صاحب كتاب " أصول العلاج فى تصحيح المزاج " وكان قد كتبه سنة (971هـ=1564م) ، و" شهاب الدين أحمد بن محمد العلاقى بن الصباغ" صاحب كتاب " كفاية الأريب فى مشاورة الطبيب" ([36])، و"داود بن على الأنطاكى الضرير " ، المتوفى سنة (1008هـ = 1599م) ، صاحب كتاب " تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب " ، وكتاب التزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة ، والتحفة البكرية فى أحكام الاستحمام الكلية والجزئية ، وأنموذج فى علم الفلك وهو كتاب فى علم التنجيم والأمراض ، ورسالة فى

([33]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 103 ، حقيقة الغرب للدكتور مصطفى عبد الغنى : ص 52.

([34]) وقد جعله المؤلف لعلماء وصوفية القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر الهجريين ، ورتبهم على حروف المعجم ، مركزًا على أحوالهم وشعرهم وكراماتهم . وقد طبع الكتاب بدار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم فى بيروت ، بلبنان ، سنة 1408 هـ = 1988 بدون تحقيق .

([35]) الأزهر فى ألف عام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجة : 1 / 117 ، 118.

([36]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 350.

الطب العام ، ورسالة فى تكوين المعادن ، ورسالة الكون والفساد ، وكتاب غاية المرام فى الطب ، وغيرها ([37]).

و" مدين بن عبد الرحمن القوصونى " المتوفى بعد سنة (1044هـ = 1634م) صاحب كتاب ناموس الأطباء وناموس الألباء ([38]).

وشهاب الدين "أحمد بن أحمد بن سلامة القلْيونى" المتوفى فى سنة (1069هـ= 1659م)، وله عدة كتب منها : المصابيح السنية فى طب البرية ، والفوائد الطبية الموافقة لطب البرية ، والتذكرة فى الطب ، والأحكام المخلة فى حكم ماء الحمصة ، وغير ذلك كثير ([39]).

ومهذب الدين " عبد الرحيم بن على " الطبيب وله شرح تقدمة المعرفة لأبقراط ، كان قد كتبها سنة (1101هـ = 1689م) ، و"محمد بن عبد العزيز الشافعى الحلبى " وله كتاب عن خصائص الحيوانات ومنافعها ، كان قد كتبه سنة (1153هـ = 1740م) ، و"يوسف بن جرجى بن عبوديا الحلبى المارونى" رسالة تسمى " الرسالة الذهبية فى معالجة الحمى الدقية" كتبها سنة (1180هـ = 1766م)([40]).

وفى علم الفلك والرياضيات : " محمد بن محمد بن أحمد المارديني " المتوفى سنة (934هـ = 1527م) ، وله عدة كتب منها : "المطلب فى العمل بالربع المجيب" أو "الرسالة الفتحية فى العمل بالجيبية" ، وله "جداول فلكية" ، وله "التحفة المنصورية فى معرفة الأوقات الشرعية" ، وله "تحفة المختصرات فى معرفة القبلة وأوقات الصلوات" ، و"تدريب العامل بالربع الكامل" ، و"النجوم الظاهرات فى العمل بربع المقنطرات" ([41]).

ومنهم : "عبد الله بن محمد بن محمد التيزونى" أحد علماء القرن العاشر الهجرى ، وله عدة مؤلفات منها : "جدول الكواكب الثابتة المحركة البعد" لآخر سنة (940هـ) ، و"عمل المقنطرات"، و"فى علم الوقت" ، و"جداول عن عصور العرب واليونان والقبط"، وغيرها ([42]).

([37]) انظر : المرجع السابق: 8 / 351.

([38]) انظر : المرجع السابق : 8 / 354.

([39]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 355 – 357.

([40]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 359.

([41]) انظر : المرجع السابق : 8 / 324.

([42]) انظر : المرجع السابق : 8 / 326.

و" تقى الدين محمد بن معروف بن ملا الشامى الأسدى " المتوفى سنة (993هـ = 1585م) ، وله عدة مؤلفات منها : "بغية الطالب فى علم الحساب" ، و"سدرة منتهى الأفكار فى ملكوت الفلك الدوار" ، و"رسالة فى حساب المثلث الحاد الزاوية" ، وغير ذلك([43]).

ومنهم " محمد ابن عمر بن صادق البكرى الفوانيسى" ، الذى كان يعيش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وله عدة مؤلفات منها : "نتيجة الأفكار فى عمل الليل والنهار" ، وهو تقويم فلكى للقاهرة ، و"بغية الطلاب فى العمل بالاسطرلاب" ([44]) .

ومنهم " محيى الدين عبد القادر بن محمد بن أحمد الفيومى المتوفى سنة (1022هـ = 1614م)، وله عدة مؤلفات منها : "جداول حلول المطالع" ، و"جداول اختلاف منظر القمر"، و"الجواهر والياقيت" ، وغيرها .

و"مصطفى بن شمس الدين الدمياطى المتوفى سنة (1038هـ) ([45]) ، و"عبد الله بن أحمد المقدسى الأزهرى الحنبلى" المتوفى نحو سنة (1080هـ = 1669م) ([46]).

و"رضوان أفندى الفلكى الرزاز" المتوفى سنة (1122هـ = 1710م) ، وكان صاحب مدرسة فى علم الفلك يرأسها بنفسه ([47]) ، وله عدة مؤلفات منها : "نتيجة الأفكار فى أعمال الليل والنهار" ، و"الجوهرة اللامعة" ، و"الدر الفريد على الرصد الجديد" ، و"أسنى المواهب فى تقويم الكواكب" ، وغيرها ([48]).

ومنهم : " رمضان بن صالح بن عمر السفطى الخَوانَكى" المتوفى سنة (1158هـ= 1745م) ، وله عدة مؤلفات منها : "نزهة النفس بتقويم الشمس" ، و"القول المحكم فى معرفة كسوف النير الأعظم" ، و"الكلام المعروف فى أعمال الكسوف والخسوف" ، و"بلوغ الوطر فى العمل بالقمر" ، وغيرها ([49]).

([43]) انظر : المرجع السابق: 8 / 327 ، 329 .

([44]) انظر : المرجع السابق : 8 / 327 ، 329.

([45]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 103 .

([46]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 332 .

([47]) انظر : المرجع السابق : 8 / 334 ، حقيقة الغرب للدكتور مصطفى عبد الغنى : ص 51 .

([48]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 334 – 335 .

([49]) انظر : المرجع السابق : 8 / 336.

ومنهم "حسن بن إبراهيم بن حسن الزيلعى الجبرتى الحنفى" المتوفى سنة (1188هـ =1774م) ، وله عدة مؤلفات منها : "العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين" ، و"رسالة الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة" ، و"رفع الإشكال بظهور العشر فى العشر فى غالب الأشكال" ، و"نزهة العين فى زكاة المعدنيين" ، وغيرها كثير([50]).

أدب الرحلات : وكذلك كثرت فى زمن الدولة العثمانية كتب الرحلات ، وكان كتاب بلاد الشام أكثر نشاطًا من غيرهم فى الكتابة عن دمشق وضواحيها ومساجدها وأحيائها ومزاراتها المتعددة ، ويعد "ابن طولون الصالحى" المتوفى سنة (953 هـ = 1546م) أشهر من كتب فى هذا المجال ، وله فى ذلك عدة رسائل ، منها رسالة "منازل الحج الشامى" ([51]) .

ويأتى "بدر الدين محمد الغزى" المتوفى سنة (984 هـ = 1576م) ليبدأ نوعًا جديدًا من الرحلات ، ألا وهو وصف الرحلة إلى الأستانة مركز الخلافة ودار الإسلام فى ذلك الوقت ، وسجل تلك الرحلة فى كتابه " المطالع البدرية فى المنازل الرومية" ، وله وصف لرحلة إلى مكة والمدينة ، وغيرها.

ويليه "محمد بن أحمد بن محمد بن جمال الدين سكيلر" المتوفى سنة (987هـ = 1579م) الذى وصف رحلته ومشاهداته أثناء رحلته من حماة إلى إستانبول فى كتابه " زبدة الآثار فيما وقع لجامعه من الأسفار".

كما نلتقى فى تلك المرحلة بمحب الدين أبو الفضل " محمد بن تقى الدين أبو بكر أحمد بن داود" الحموى الحنفى ، المتوفى سنة (1016هـ = 1607م) الذى جعل رحلته إلى مصر فى كتابه " حاوى الأظعان النجدية إلى الديار المصرية " ([52]) .

و"محمد بن ناصر الدين السَّوَائى الشَّفُونى " المتوفى نحو (1045هـ= 1644م) ، وله كتب منها : " الجوهر المكنون فى فضائل زيارة قاسيون" ذكر فيه الكثير من المدائح لهذا الجبل والمزارات التى توجد بالقرب من مدينة دمشق.

ويعد الشيخ "عبد الغنى النابلسى" أشهر رحالة القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين ، فقد وصف الكثير من رحلاته فى بعض كتبه ، منها : كتاب " الحقيقة والمجاز فى

([50]) انظر : المرجع السابق : 8 / 337 ــ 338.

([51]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 565 .

([52]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 565 .

الرحلة إلى الشام ومصر والحجاز " ، وكتاب "الحضرة الإنسية فى الرحلة القدسية" ، وكتاب "التحفة النابلسية فى الرحلة الطرابلسية([53])، وكتاب "حلة الذهب الإبريز فى رحلة بعلبك والبقاع العزيز([54])، وهو المعروف بالرحلة الصغرى.

ومنهم أيضًا : "مصطفى أسعد بن أحمد بن محمد اللّقيمى الدمياطى" المتوفى سنة (1178هـ= 1759م) وله عدة مؤلفات منها : لطائف أنس الجليل فى تحائف القدس والخليل ، وموانح الأنس برحلتى لوادى القدس ، تناول فيه رحلته من دمياط المصرية إلى القدس سنة (1143هـ= 1730م) ، والحلة المعلمة البهيجة بالرحلة القدسية المهيجة ، وغيرها([55]).

علم الكلام : وبالرغم من عدم ظهور مذهب مستقل فى علم الكلام بمصر ، فقد غلب المذهب الأشعرى فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ، الذى حمل المصريين على هذا المذهب واشترطه فى أوقافه على المدرسة الناصرية والشريفية والقمحية وغيرها ، فاستمر هذا المذهب فترة طويلة فى مصر وبلاد الشام ، وظل التأليف فى العقيدة على هذا المذهب حتى فى ظل السيطرة العثمانية على مصر وبلاد الشام ([56]).

العقيدة : وبرز كثير من العلماء الكبار الذين ألفوا فى مجال العقيدة ، منهم : "إبراهيم بن أحمد بن على الحلبى" المتوفى سنة (956 هـ = 1549م)، صاحب كتاب " اللمعة فى القضاء والقدر" ، و"أحمد بن محمد بن على الغنيمى" المتوفى سنة (1044هـ = 1634م) ، صاحب كتاب "التسديد فى بيان التوحيد" وغيرها([57]) . ومنهم :"محمد بن أحمد الشوبرى" ، المتوفى سنة (1077هـ = 1666م) ، صاحب "الأجوبة عن الأسئلة فى كرامات الأولياء"([58]) ،

([53]) الحقيقة والمجاز: ص 9 ،سلك الدرر للمرادى : 3/ 30 ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 348.

([54]) الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز لعبد الغنى النابلسى : ص 9 .

([55]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 347 .

([56]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 150.

([57]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 234 ــ 235.

([58])انظر : المرجع السابق: 8 / 237.

و"عبد الباقى المقدسى الحنفى" ، صاحب كتاب "السيوف الصقال فى رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال"([59]).

التصوف : وبرع كثير من كتَّاب المتصوفة فى الانتصار لمنهجهم ، ومن هؤلاء :"عبد الوهاب الشعرانى" المتوفى سنة (973 هـ = 1565م) ، الذى جمع بين كثير من العلوم والمعارف ، وبرع فيها حتى إنه ألف فى كل علم منها ، ومن أهم تلك العلوم : أصول الفقه وأصول الدين وعلم النحو والبلاغة والتصوف والقراءات وتفسير القرآن الكريم والطبقات ([60]) . ومنهم الإمام "عبد الرءوف المناوى" المتوفى سنة (1031هـ = 1621م) ، صاحب كتاب " الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية " ([61]).

وكذلك يعد الشيخ "عبد الغني النابلسى" أشهر علماء التصوف الإسلامى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر الهجريين ، فقد كان شيخًا فى الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية ، وألف الكثير من المؤلفات فى علوم شتى من أشهرها علم التصوف والمذاهب الفقهية ، وعلم التفسير والتوحيد والرحلات التى خصص فيها جزءًا كبيرًا للحديث عن أولياء الله الصالحين وكراماتهم ومقاماتهم ومساجدهم والزوايا والتكايا والخانقاوات التى سكنوا بها ، ووصف أحوالهم ، كما نظم أكثر من ديوان فى التصوف والمدائح النبوية ، وله ديوان " ديوان الحقائق ومجموع الرقائق " فى التصوف ([62]).

القرآن الكريم : كان للعلماء المصريين مشاركة جادة وواضحة فى الدراسات التى قامت حول القرآن الكريم ، من تفسير ومذاهب فقهية مختلفة ، منذ بداية القرن الثالث الهجرى ، وكان بها كثير من العلماء الذين أثروا المكتبة العربية الإسلامية على مر العصور الإسلامية ، وكان العصر العثمانى كغيره من العصور ، له مَنْ يمثله فى هذه العلوم ، ففى علم التفسير اشتهر : " شمس

([59]) انظر : المرجع السابق : 8 / 237.

([60]) انظر تلك المؤلفات فى : تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 255 ــ 265.

([61]) ويعــرف أيضًا بطبقات المناوى الكــبرى ، ونشر بتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح .

([62]) انظر تلك الكتب والرسائل فى : الحقيقة والمجاز لعبد الغنى النابلسى: ص 9 ، سلك الدرر للمرادى : 3 / 30 ، مصر والشام لشوقى ضيف : ص 137 ــ 138 ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8 / 141 ــ 148 ، 155 ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 348 ، 349 ، تاريخ الأدب العربى لعمر موسى باشا: ص 470 ــ 472 ، وطبع ديوانه " ديوان الحقائق ومجموع الرقائق " بدار الجيل ببيروت .

الدين الخطيب الشربيني" المتوفى سنة (977هـ =1569م) ، صاحب كتاب "تفسير السراج المنير"([63]).

المذاهب الفقهية : وكانت المذاهب الفقهية الأربعة قد انتشرت فى مصر منذ عهد الدولة العباسية ، وكان لبعضها من الشهرة والاتساع ما جعله يتقدم على غيره ، فكان المذهب الحنفى قد جعله العثمانيون مذهبًا رسميًّا للقضاء دون سواه ، مما زاد من نشاط العلماء فى التأليف عن هذا المذهب ، ومن أشهر هؤلاء : عمر بن إبراهيم المصرى المعروف بابن نجيم ، المتوفى سنة (970 هـ = 1563م) ، صاحب كتاب " الأشباه والنظائر " ، وكتاب " البحر الرائق على كنـــز الدقائق".

وشمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشى الغزى ، المتوفى سنة (1004هـ = 1595م) ، صاحب كتاب " تنوير الأبصار وجامع البحار "([64]).

كما بدأ انتشار المذهب المالكى بمصر منذ القرن الثانى الهجرى ، وكثر العلماء به فى العصر العباسى والأيوبى وزمن المماليك والعثمانيين الذين شجعوا التأليف فى كل المذاهب الفقهية الإسلامية ، فكان أشهر من كتب فيه:

" على بن ناصر الدين بن محمد بن محمد المنوفى المتوفى سنة (939هـ = 1530م) ، صاحب كتاب "عمدة السالك على مذهب مالك" ، و"محمد بن يحيى بن عمر المصرى المتوفى سنة (1009هـ = 1601م) ، واللقانى " إبراهيم بن إبراهيم بن حسن " المتوفى سنة (1041هـ = 1631م) ، صاحب كتاب " جوهرة التوحيد "([65]) . ومنهم " على بن محمد الأجهورى " المتوفى سنة (1066هـ = 1656م) ، وهو من كبار شيوخ الأزهر الشريف الذين لهم الكثير من الكتب والرسائل والشروح والحواشى([66]).

وبالرغم من انتشار المذهب المالكى فى مصر فإنه كان أقل المذاهب الفقهية انتشارًا فى بلاد الشام ، ولم يظهر نشاطه بوضوح إلاّ فى ظل الدولة الأيوبية ، عندما أنشأ " صلاح الدين

([63]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 131 ــ 132.

([64])انظر : المرجع السابق : ص 137 ــ 138، كارل بروكلمان : 8/ 141 ــ 148 ، 155 ــ 163.

([65]) مصر والشام لشوقى ضيف : ص 142 ــ 143، تاريخ الأدب لبروكلمان : 8/ 176 ــ 180.

([66]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 143 ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 181 .

الأيوبى " المدرسة الصلاحية للمذهب المالكى ، وزاد انتشاره فى عصر المماليك ، ولكنه ما لبث أن ضعف وتضاءل فى زمن العثمانيين ([67]).

وكان المذهب الشافعى من أكبر المذاهب الفقهية انتشارًا فى مصر ، وظل قويًّا فى العصر العباسى والأيوبى وزمن سلاطين المماليك ، ولم يتوقف نشاطه فى مصر زمن الدولة العلية العثمانية ، بل ازداد نشاطه ، وكثر رجاله"([68]) ، فكان من أشهرهم : " أحمد بن أحمد بن حمزة الرملى" المتوفى سنة (957هـ = 1550م) ، صاحب " عمدة السالك وعدة الناسك" . و"شمس الدين محمد بن أحمد الشربينى"المتوفى سنة (977هـ = 1570م)، صاحب كتاب "السراج المنير" ، و"شرح منهاج النووى" ، وشرح "متن أبى شجاع"([69]) . و"محمد ابن أحمد بن أحمد الرملى" المتوفى سنة (1004هـ = 1596م) ، صاحب كتب " نهاية المحتاج وغاية المرام"([70]).

ولم يظهر المذهب الحنبلى فى مصر إلاَّ فى القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى، عقب بناء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، المدرسة الصالحية سنة (641 هـ = 1243م) ، وجعل لدراسته إيوانًا بجانب المذاهب الأخرى ([71]).

وبالرغم من تأخره فى الظهور والانتشار بمصر ، فقد كثر به المؤلفون ، منهم : "محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى" المتوفى سنة (972 هـ = 1564م) ، صاحب كتاب " منتهى الإرادات " ، و" منصور بن يونس البهوتى " المتوفى سنة (1051هـ=1641م) صاحب كتاب " عمدة الطالب لنيل المآرب"([72]) . و" عبد الباقى بن عبد الباقى ابن فقيه فِصَّه([73]) المتوفى سنة (1071 هـ = 1661م) ، صاحب كتاب " رياض الجنة فى آثار أهل السنة" ([74]) . والإمام عبد الباقى بن عبد الباقى بن عبد القادر المواهبى

([67]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص589.

([68])انظر : المرجع السابق : ص 147 ، 589 ، 591 ــ 592.

([69])انظر : المرجع السابق : ص 147 ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 190 ــ 191 .

([70]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 195.

([71]) انظر : المرجع السابق : ص 147 ــ 148.

([72]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 211 ــ 212.

([73]) فصة : قرية بالقرب من بعلبك .

([74]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 212.

المتوفى سنة (1071هـ = 1661م) ،صاحب كتاب " العين والأثر فى عقائد أهل الأثر "([75]) ، وله عدة كتب أخرى منها: "شرح على الجامع الصحيح للبخارى" ولكنه لم يكمله، و" اقتطاف الثمر فى موافقات عمر"، وعقد الفرائد فى نظم من الفوائد "،و"رياض أهل الجنة فى آثار أهل السنة "([76]).

علم الحديث :وفى علم الحديث : ظهر كثير من العلماء الذين لهم مؤلفات عديدة ، منهم : "عبد الرءوف المناوى " المتوفى سنة (1031هـ = 1621م) ، صاحب كتاب " كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق" ، و"شرح الشمائل للترمذى" ، و"الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية" ، و"بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين"([77]). والبيقونى "طه بن محمد بن فتوح" المتوفى سنة (1080هـ = 1669م) ، صاحب "البيقونية" ([78]) . ومنهم : "حسين الساداتى القدسى" ، المتوفى سنة (1077 هـ = 1666م) ، صاحب كتاب " القول البديع فى أصول أحاديث النبى الشفيع"([79]) . و"إبراهيم بن محمد الحسينى الدمشقى" المتوفى سنة (1120هـ = 1708م) ، صاحب كتاب "البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف "([80]).

الدراسات النحوية واللغوية : وكذلك نشطت حركة الدراسات النحوية واللغوية فى العصر العثمانى نشاطًا كبيرًا ، وأخذ علم النحو نصيبًا كبيرًا من ذلك الاهتمام ، وظهر علماء كثيرون نابهون لهم كثير من المؤلفات التى أخذت شهرة واسعة ([81]) ، منهم : "شهاب الدين الخفاجى" ، صاحب كتاب "شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل"([82]). و" يوسف البديعى الدمشقى المتوفى سنة (1073هـ = 1664م) ، صاحب كتاب " الحدائق البديعية فى الأنواع

([75]) وقد طبع الكتاب بتحقيق عصام رواس قلعجى ، بدار الأمون للتراث ، ببيروت .

([76]) انظر : العين والأثر فى عقائد أهل الأثر لعبد الباقى المواهبى الحنبلى : ص 21.

([77]) خلاصة الأثر: 2 / 412 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 358.

([78]) وهى المتن التعليمى المستخدم بالأزهر الشريف ، وعليها قامت كثير من الشروح والحواشى . انظر : تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 231.

([79]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 124 .

([80]) انظر : المرجع السابق: 8/ 231 .

([81]) مصر والشام للدكتور شوقى ضيف : ص 573 .

([82]) انظر : المرجع السابق : 8/ 57 ــ 58 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 309.

الأدبية "([83]) . و" عبد القادر بن عمر البغدادى " المتوفى سنة (1093هـ = 1682م) ، صاحب كتاب " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب "([84]) . و" أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى المتوفى سنة (1094هـ = 1683م) ، صاحب كتاب الكليات ([85]) ، ومحمد أمين المحبى ، وله عدة كتب ، منها : " ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه " ([86]) ، وكتاب "قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل"([87]) ، وكتاب "جَنَى الجنتين فى تمييز نوعَى المثنيين"([88])، و"محمد مرتضى الزبيدى" المتوفى سنة (1205هـ =1791م)، وله "تاج العروس" ، و"إتحاف السادة المتقين"([89]).

الدراسات الأدبية والشعرية : وبالرغم من اهتمام كتَّاب العصر العثمانى وأدبائه وشعرائه بجمود القرائح، وأن المجيدين منهم إنما كانت إجادتهم تقليدية ، وأنهم ساروا على خطى المتقدمين، وتقليدهم فى المعانى والأساليب والألفاظ ، وزيادة اهتمامهم بالألفاظ، وتنميق العبارة بالسجع والجناس والتورية ([90])؛ فإن كثيرًا منهم أجادوا وجددوا فى فنون الشعر المختلفة ، وفى الدراسات الأدبية التى كان لها اهتمام خاص لدى بعض كتاب ذلك العصر ، واشتهر من هؤلاء الكتاب عدد كبير ، منهم : "شهاب الدين الخفاجى" الذى جمع فى كتابه " طراز المجالس

([83]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان: 8/ 55-57، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان: 308/3.

([84]) وهو شرح على الشواهد الشعرية فى شرح الاستراباذى على كافية ابن الحاجب فى النحو . انظر : تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 58 ــ 59 ، وقد طبع الكتاب بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وطبع بمكتبة الخانجى بالقاهرة ، سنة 1409 هـ = 1989 م .

([85]) وطبع بتحقيق : عدنان درويس ومحمد المصرى ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، بدمشق ، سنة 1982م .

([86]) وقد طبع الجزء الأول من الكتاب بتحقيق الدكتور : محمد حسن عبد العزيز ، وبمراجعة الدكتور حسن الشافعى ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، سنة 1424 هـ = 2003 م .

([87]) سلك الدرر للمرادى : 4 / 86 ، مقدمة كتاب " ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه " للمحبى : 18 ــ 20 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 318.

([88]) وقد طبع الكتاب بعناية الأستاذ عبد الباقى الحسنى الجزائرى ، بتحقيق لجنة إحياء التراث العربى فى دار الأفاق الجديدة ، ببيروت ، سنة 1401 هـ = 1981م .

([89]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 61- 64 .

([90]) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 293.

" ما وجده فى كتب الأدب واللغة ، وضمنه خمسين مجلسًا ، وعدة أبحاث ومقالات نقلها عن كبار الأدباء والكتَّاب من قبله ، كالجاحظ والصاحب بن عباد ، وعدة مقالات عن الحجابة وشروطها ، مع كثير من منتخبات من الشعر والحكمة والقواعد فى الشعر واللغة والبيان ([91]).

و"محمد بن حسين " بهاء الدين العاملى المتوفى سنة (1030 هـ = 1621م) ، وله العديد من المؤلفات الموسوعية النادرة ، من أشهرها كتاب " الكشكول " ، وهو يعد موسوعة كبيرة فى عدة علوم كالأدب واللغة والهندسة والفلسفة والتصوف والطب والمذاهب ([92]) . وعلى نمط الكشكول ، ألف " بهاء الدين العاملى" كتابه " المخلاة " وهو موسوعة كبيرة فى الأدب والأمثال والحكم والمواعظ ، وغيرها ([93]).

و"يوسف البديعى " المتوفى سنة (1070 هـ = 1662م) ، صاحب كتاب " الحدائق البديعية فى الأنواع الأدبية " ، وهو كتاب تعليمى ، فصَّل فيه صناعة الشعر والبلاغة والبيان ، وكتاب " الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ([94]) ، وكتاب " هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام " ([95]).

وبرع كثير من الكتاب فى جمع النوادر والفكاهة ، منهم : أبو الوفاء بن معروف الخلوتى الحموى المتوفى نحو سنة (1031هـ = 1622م) الذى كان له اهتمام خاص بالنوادر والفكاهة فى كتابه "نزهة الأخبار ومجموع النوادر والأخبار" ، ومنهم " على الشربينى المتوفى سنة (1044هـ= 1634م) الذى اهتم أيضًا بالنوادر الفكاهية فى كتاب " مطالع البدور

([91]) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : 8/ 57 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 308 ، وكان هناك من ينظم الأحكام الفقهية والشرعية والفلسفية وغير ذلك فى منظومات شعرية ، كما رأينا عند الشيخ عبد الغنى النابلسى فى كتابه " رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام فى أركان الإسلام " فى (151) بيتًا من الشعر ، ثم شرحها شرحًا وافيًا ، تحدث فيه عن أركان الإسلام : الشهادتين ، والصلاة والزكاة والصوم والحج . وقد طبع الكتاب بتحقيق : محمد خالد الخرسة بدار مكتبة البيروتى بدمشق .

([92]) خلاصة الأثر للمحبى : 3 / 440 ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 353 ــ 354 ، وقد طبع عدة طبعات ، منها طبعة بتحقيق الطاهر أحمد الزاوى ، بالهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ، سنة 1998م .

([93]) خلاصة الأثر للمحبى : 3 / 440 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 353 ــ 354 ، وقد طبع الكتاب عدة طبعات.

([94]) وقد طبع الكتاب بتحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده ، وطبع بدار المعارف بالقاهرة.

([95]) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : 8/ 57 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 309 .

العالية فى منازل السرور الأدبية " ، وعلى بن محمد الحداد المصرى المتوفى بعد سنة (1040 هـ= 1630م) صاحب كتاب " حديقة المنادمة وطريقة المناسمة "([96]).

و"يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشربينى" المتوفى فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى، صاحب كتاب "هز القحوف" ، وهو كتاب فى السخرية والشكوى من السلوك غير المصقول واللغة الفظة للفلاحين المصريين ، ويحفل الكتاب بمواقف ضد غرور الفقهاء وضيق عقولهم ، وقد كتبه بالعامية المصرية ونسبه إلى فلاح متخيل هو أبو شادوف أو ابن عجيل([97]).

ولمحمد بن أحمد المعروف بابن إياس الحنفى المتوفى سنة (1060هـ = 1650م) العديد من الكتب فى الأدب والفكاهة والنوادر ، والتى من أهمها :" الجواهر الفريدة فى النوادر المفيدة "، و" النوادر المضحكة والهزليات المطربة " ، و" الدر المكنون فى السبع فنون " ([98]).

ولما كان لتراجم الرجال من أهمية كبيرة فى معرفة أحوال العصر ، فقد اهتم الكتاب بهذا النوع من الكتاب ، واشتهر منهم كثيرون ، منهم : "شهاب الدين الخفاجى" الذى ضمَّنَ فى كتابه " خبايا الزوايا بما فى الرجال من البقايا " الكثير من التراجم لنخبة من علماء عصره ، ومنهم شيوخه وشيوخ أبيه ، وبلغ من أهمية هذه التراجم التى أوردها أنها لا توجد فى غيره من المؤلفات ، كما جذب هذا الكتاب أنظار الكتاب ، فقام "ابن معصوم المدنى" ، المتوفى سنة (1104هـ = 1692م) بإتمام الكتاب فى كتابه " سلافة العصر"([99]).

كما قام " شهاب الدين الخفاجى " فى كتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب " بجميع مشاهير الشعراء من العرب والمولدين وترجم لهم ([100]) ،وبلغت مقدرته الأدبية واللغوية أن جمع فى كتابه" ريحانة الندمان أو ذوات الأمثال" كل مثل عربى فى بيت شعرى ([101]).

([96]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 108 ــ 110 .

([97]) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 296 ، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : 8/ 482.

([98]) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 304 ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 109 ــ 110 ، وكتاب الدر المكنون مخطوط بدار الكتب المصرية ، شعر تيمور ، رقم 724 .

([99]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 56 ــ 57.

([100]) الأزهر فى ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجى : 3 / 309.

([101]) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 309.

وكذلك كان للمحبى اهتمام كبير باللغة العربية وآدابها وبرجالها والشعر ، والشعراء ، والسلاطين ، والأعيان ، والأمراء ، والولاة ، والقضاة ، والفقهاء ، والمتصوفة ، وله فى ذلك عدة كتب ، منها :"خلاصة الأثر فـــى أعيان القرن الحادى عشر " ، وكتاب " نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة " ، وقد جعله المحبى ذيلاً على "ريحانة الألبا " للخفاجى([102]).

وكان هناك من الشعراء الذين جمعوا شعرهم فى دواوين بأنفسهم ، أو جمعوا الرسائل الإخوانية التى تبادلوها مع إخوانهم ، ومن هؤلاء : "شمس الدين الصيداوى" ، المتوفى فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، وكان قد جمع مجموعة من الرسائل تبادلها مع معاصريه فى سنة (997 هـــ = 1589م) ([103]).

و" محمد بن أحمد " المعروف بدرويش الطالوى الدمشقى المتوفى سنة (1014 هـــ = 1605م) ، وكان قد جمع شعره فى كتاب أطلق عليه " سانحات دمى القصر فى مطارحات بنى العصر " ([104]).

و" حسين بن أحمد بن حسين الجزرى " المتوفى سنة (1034هـــ = 1625م) الذى جمع ديوانه ورتبه على الموضوعات ، فى عدة فنون شعرية مختلفة ، منها : المدح والمواعظ والغزل والمراسلات الشعرية والدعابة والرثاء والهجاء ([105]).

ولإبراهيم بن محمد الدمشقى الصالحى الأكرمى المتوفى سنة (1044هـــ = 1635م) ديوان ضم فيه شعرًا فى : المديح والمراسلات والخمريات والغزل والزهد والتوبة والاستغفار ([106]).

ولأحمد بن زيد العابدين بن محمد البكرى المتوفى سنة (1048هـــ = 1638م) ديوان جمع فيه كثيرًا من الموشحات ([107]).

([102]) سلك الدرر للمرادى : 4 / 86 ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 80 ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان : 3 / 318 ، وقد طبع الكتاب بتحقيق عبد الفتاح الحلو سنة 1387 هـــ = 1976م .

([103]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 19.

([104]) خلاصة الأثر: 2 / 149 ،تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 295 ، بروكلمان : 8/ 19- 20.

([105]) خلاصة الأثر: 2 / 81 ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 295 ، كارل بروكلمان : 8/ 21.

([106]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 22.

([107])انظر : المرجع السابق: 8/ 23.

ولمحيى الدين بن تقى الدين بن بكر الدمشقى السلطى المتوفى سنة (1065هـ = 1655م) ديوان أطلق عليه " صبابة المعانى وصبابة المغانى " وهو ديوان فى الحب على نمط ديوان الصبابة لابن أبى حجلة ([108]).

وكذلك عرف كثير من الشعراء والكتاب الذين عرفوا بجودة شعرهم ونثرهم ، ولكن لم يعرف عنهم أنهم جمعوا شعرهم بأيديهم فى ديوان ، من هؤلاء :

- عائشة الباعونية المتوفاة سنة (922هـ= 1516م) ولها ديوان "الفتح المبين فى مدح الأمين" وغيره.
- و"زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن على الحميدى" الطبيب المتوفى سنة (1005هـ = 1596م) ، صاحب ديوان " الدر المنظم فى مدح الحبيب الأعظم " ، و" تمليح البديع لمدح الشفيع" ، وقصائد متفرقة فى مدح النبى ، صلى الله عليه وسلم.
- و"شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد النابلسى العناياتى" ، المتوفى سنة (1014هـ = 1605م) ، وله غير ديوانه كتاب "الدرر المضيئة فى الأخلاق المرضية".
- و"إبراهيم بن أحمد بن محمد بن على الملا الحلبى الحصفكى" المتوفى سنة (1030هـ = 1621م) ، وله : "حلبة المفاضلة وحلية المناضلة فى المطارحة والمراسلة والمناجلة" ، وهو كتاب يضم رسائل متبادلة مع أصدقائه فى الشام واستانبول ، وله أيضًا : "أبكار المعانى المخدرة وأشعار المبانى المذخرة" ، وغيره.
- ولحسين بن أحمد بن حسين ابن الجزرى المتوفى سنة (1034هـ = 1625م) ، ديوان مرتب على الموضوعات ، فيه مدح العلماء والكبراء ، ومواعظ ونصائح ، وغزل ومراسلات شعرية، ودعابات ، ومراث ، وهجاء ، وغير ذلك.
- ولمحمد فتح الله بن محمود بن محمد الحلبى البيلونى المتوفى سنة (1042هـ = 1632م) ، ديوان رتبه ابن أخيه ترتيبًا موضوعيًّا ، وله مؤلفات أخرى.
- ولإبراهيم بن محمد الأكرمى الدمشقى الصالحى بن الأكرم المتوفى سنة (1044هـ = 1635م) ، ديوان يضم شعرًا فى المدح والمراسلات الشعرية ، والخمريات ، والغزل ، والزهد والتوبة .
- ولعبد الباقى بن محمد الإسحاقى المنوفى المتوفى سنة (1060هـ = 1650م) ، ديوان شعر يضم مجموعة أشعار فى المناسبات ويسمى :" سلاف الإنشاء فى الشعر والإنشاء".

([108]) انظر : المرجع السابق : 8/ 26 .

- ولمنجق باشا بن محمد بن منجق بن أبى بكر اليوسفى الدمشقى المتوفى سنة (1080هـ = 1669م) ، ديوان شعر جمعه والد فضل الله المحبى المتوفى سنة (1082هـ = 1671م) ، ورتبه ترتيبًا تاريخيًّا يبدأ بشعره فى السلطان إبراهيم الأول.
- ولمصطفى أفندى بن عثمان المعروف بالبابى الحلبى المتوفى حوالى سنة(1091هـ = 1680م)، ديوان يضم شعرًا فى المديح والرثاء لعظماء الترك وغيره.
- ولإبراهيم بن محمد بن عبد الكريم السفرجلانى المتوفى سنة (1112هـ = 1700م) ، ديوان مرتب على حروف المعجم ، أكثره مقاطع صغيره.
- ولعبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الموصلى الشيبانى الميدانى الدمشقى المتوفى سنة (1118هـ = 1706م) ، ديوان جمعه ابنه.
- ولمصطفى أفندى بن حسن أفندى بن محمد الصمادى المتوفى سنة (1137هـ = 1725م) ، ديوان جمعه "عبد الرحمن بن محمد بن على التركمانى البهلول النخلاوى الدمشقى المتوفى سنة (1163هـ = 1750م).
- ولمصطفى بن أحمد باشا بن حسين الطرزى الدمشقى المتوفى سنة (1155هـ = 1742م) ، ديوان شعر كبير.
- ولعبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهرى المعروف بالشبراوى الأزهرى ، شيخ الأزهر الشريف المتوفى سنة (1172هـ = 1758م) ، ديوان شعر يسمى " منيح الألطاف فى مديح الأشراف " يضم شعرًا فى مدح النبى – صلى الله عليه وسلم – وكثير من الأشراف ، وله أيضًا "نزهة الأبصار فى رقائق الأشعار" ، وله " عنوان البيان وبستان الأذهان " وهو كتاب فى التسلية يضم مجموعة من النصائح والحكم ، وله " عروس الآداب وفرحة الألباب" وهو كتاب فى الأخلاق ونصائح للحكام فى شكل حكايات عن الشعراء مع أشعار كثيرة ، يتحدث فيها عن الجود والشح والبخل والصداقة والوحدة والصفح والثأر والشكوى.
- ولأحمد بك بن حسين باشا بن مصطفى بن حسين الكيوانى الدمشقى ، المتوفى سنة (1173هـ = 1760م) ، ديوان كبير يضم حوالى ألفى بيت فيها كثير عن فن التعامل مع الآخرين وغيره من الموضوعات ، وله موشح أيضًا.

- وليوسف بن سالم بن أحمد الحفنى الشافعى المتوفى سنة (1178هـ = 1764م) ، ديوان ، وله أشعار متفرقة فى المدح ، ومقامات المحاكمة بين المدام والزهور ، والمقامة الحفنية فى مدح أبى العباس أحمد بن محمد الباهى وغيره.
- ولعبد الله بن عبد الله بن سلامة الإدكاوى المصرى الشافعى المتوفى سنة (1184هـ = 1770م) ، بضاعة الأريب فى شعر الغريب ، و"الدر المنظم أو المنتظم فى الشعر الملتزم " وهو شعر فى مدح النبى الكريم ، و" الفوائح الجنائية فى المدائح الرضوانية " وغير ذلك.

كتب التراجم : واشتهر بمصر وبلاد الشام كثير من العلماء الذين كان لهم اهتمام كبير بتدوين سير العلماء والشعراء والأدباء ، منهم : " محمد بن على " المالكى الداودى المتوفى سنة (945 هـ = 1538م) ، صاحب كتاب "طبقات المفسرين" ([109]).

وموسى بن يوسف بن أحمد الدمشقى المتوفى سنة (999هـ = 1590م) ، صاحب كتاب " الروض العاطر فيما تيسر فى أخبار أهل القرن السابع إلى ختام القرن العاشر" ، وكتاب "التذكرة الأيوبية" وقد جمع فيه مشاهير الرجال فى كل العصور ([110]).

و" على بن غانم بن الخطيب الشافعى البقاعى" المتوفى سنة (1000 هـ = 1592م) ، صاحب كتاب " طبقات الأبرار ومناقب الأئمة الأخيار " ([111]).

و"الحسن البوريني" المتوفى سنة (1024هـ = 1615م) صاحب كتاب " تراجم الأعيان من أبناء الزمان" ([112]).

و"نجم الدين الغزى" المتوفى سنة (1061هـ = 1651م)، صاحب كتاب : " الكواكب السائرة بمناقب علماء المائة العاشرة " ([113]) ، وذيله " لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر" ([114]).

([109]) انظر : المرجع السابق : 8/ 70.

([110]) انظر : المرجع السابق : 8/ 70 ــ 71.

([111]) انظر : المرجع السابق : 8/ 71.

([112]) خلاصة الأثر: 2 / 51 ، كارل بروكلمان : 8/ 71 ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان : 3 / 315.

([113]) طبع بتحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور بدار الآفاق الجديدة ببيروت للمرة الثانية ، سنة 1979م .

([114]) كارل بروكلمان : 8/ 75 ــ 76 ، وقد طبع الكتاب بتحقيق محمود الشيخ بوزارة الثقافة بدمشق .

التاريخ العام : وكذلك اشتهر كثير من المؤرخين الذين تناولوا التاريخ العام من آدم عليه السلام ، وحتى الدول الإسلامية على مر العصور ، وحتى زمن المؤلف ، ومن هؤلاء : "الإسحاقى المنوفى" المتوفى سنة (1033 هـ = 1623م) ، صاحب كتاب :" الروض الباسم فى أخبار من مضى من العوالم " ، وكتاب " دوحى الأزهار فيمن ولى الديار المصرية " ، وكتاب " أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ([115]).

ومنهم : أحمد بن يوسف القرمانى المتوفى سنة (1019هـ = 1611م) ، صاحب كتاب " الدول وآثار الأول " ([116]). و"محمد بن أبى السرور البكرى" المتوفى سنة (1060 هـ = 1650م) ، وله عدة كتب ، منها : "عيون الأخبار ونزهة الأبصار" ([117])، و" نزهة الأبصار وجهينة الأخبار " ، و" المنح الربانية فى الدولة العثمانية " وقيل: " المنح الرحمانية فى تاريخ الدولة العثمانية" ، و" تحفة الظرفاء بذكر الملوك والخلفاء " ([118]) ، و" النـــزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المحروسة "([119]) ، و" الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة " ([120]).

أهم نتائج البحث:

بدراسة الحياة الفكرية أو الثقافية فى العصر العثمانى يتبين لدى الباحثين أنها كانت امتدادًا طبيعيًّا للعصر المملوكى ، ولا يخفى أن أول ما يلفت نظر الباحثين فى الأدب العربى عامة، تلك الصلة الوثيقة بين أحداث التاريخ وظروف البيئة من تجاوب عميق ، وارتباط وثيق ، ومن مظاهر تلك الصلة خضوع الأدب العربى فى مختلف أدوار حياته لتطور حياة الأمة العربية فى النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية والاقتصادية، فهذه النواحى هى

([115]) وقد طبع عدة طبعات ، منها طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة سنة 1998م .

([116]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 103 ــ 104.

([117]) رتبه المؤلف على تسعة عشر مقصدًا أو فصلاً . انظر : تراجم إسلامية لمحمد عبد الله عنان : ص 171.

([118]) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان : 8/ 104 ــ 105.

([119]) وهو تاريخ موجز للدول الإسلامية ، يبدأ من ملوك مصر بعد الطوفان إلى عصره . انظر : تراجم إسلامية لمحمد عبد الله عنان : ص 1171 ، وانظر أيضًا : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى للدكتورة ليلى عبد اللطيف: ص 218 .

([120]) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (2261) .

التى فرضت عليه الكثير من التغيرات ، وهى التى رسمت له اتجاهاته ، ومن هنا تعددت موضوعاته وصوره وألفاظه ومعانيه وأساليبه.

أما أهم النتائج التى نتجت عن هذا البحث فقد تمثلت فى ضعف الاتهامات التى وجهت للوجود العثمانى فى مصر من الناحية الأدبية والعلمية بكل أنواعها وفروعها ، كما ظهر التحيز إلى الغرب بوضوح فى دراسات الدارسين العرب الذين سلكوا طريق الغرب وكتابه فى كيل الاتهامات إلى الدولة العثمانية بحق وبدون حق ، دون التفكير فى هذه الأفكار ومدى صحتها أو مدى قوتها أو ضعفها ، متناسين أن الغرب قد ذهب إلى هذه الأفكار نتيجة لما يحمله من حقد دفين تجاه الدولة العثمانية التى تمددت على حساب الدول الأوربية لأول مرة على مدى التاريخ ، حتى أذلت أعناقهم ، ولهذا فهم لم ينسوا لها هذا الفعل حتى اليوم ، ولن ينسوه بالطبع ؛ لأنهم قد تعودوا على أن يكونوا هم الذين يسيطرون على البلدان الإسلامية ، لا أن تكون هناك دولة إسلامية تحكمهم وتسيطر على أراضيهم ، وتأخذ منهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

أهم المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ابن إياس (محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس : محمد مصطفى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، سلسلة الذخائر.

أهم المراجع:

2. أحمد عبد الرحيم مصطفى : الثورة العرابية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سلسلة المكتبة ، عدد 30 ، أول فبراير 1961م .
3. أكمل الدين إحسان أوغلى : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ، 1999م .
4. جمال عبد الهادى ووفاء محمد رفعت وعلى لبن : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ (الدولة العثمانية) ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، 1416 هـ = 1995م.
5. جورج سارتون : العلم الإسلامى ، ضمن كتاب الشرق الأدنى (مجتمعه وثقافته) تحرير كويلرينج ، ترجمة : عبد الرحمن محمد أيوب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م .

6. رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت اللإسلامية فى مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ = 1993م.
7. زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس (خزائن الكتب فى العصرين الأيوبى والمملوكى) ، ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية ، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992م.
8. سعيد عبد الفتاح عاشور : العلم بين المسجد والمدرسة ، ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية ، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
9. سيدة إسماعيل كاشف : الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية ، ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية ، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992م.
10. السيد سمير عبد المقصود: الشوام فى مصر منذ الفتح العثمانى حتى أوائل القرن التاسع عشر، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد 231 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003 م.
11. شوقى ضيف : الجزيرة ، الشام ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ.
12. شوقى ضيف: عصر الدول والإمارات (مصر والشام) ،دار المعارف،القاهرة،بدون تاريخ.
13. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، 1990م.
14. عبد العزيز محمد الشناوى : الأزهر جامعًا وجامعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983م.
15. عبد العزيز محمد الشناوى : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس ــ أبريل 1969) ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، 1971م.
16. عبد الله عزباوى: الشوام فى مصر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1986م.
17. عبد الله عزباوى : المؤرخون والعلماء فى مصر فى القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997م.

18. عراقى يوسف محمد : الوجود العثمانى فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، دراسة وثائقية ، بيت الحكمة لإعلام والنشر ، القاهرة ، 1416 هـ = 1996م.
19. عراقى يوسف محمد الوجود العثمانى المملوكى فى مصر فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1985م.
20. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2000م.
21. محمد عبد المنعم خفاجى : قصة الأدب فى مصر ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ = 1992 م.
22. محمد عبد المنعم خفاجى : الأزهر فى ألف عام ، عالم الكتب ببيروت ، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، 1408هـ = 1988م.
23. يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول ، 1988م.